جمعية القلم للدراسات والأبحاث
هدى للناس
وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

معالم بناء الإنسان في ضوء هدايات القرآن

اسم الباحث/ـة

د/ حسام الدين مخلوف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبيَّ بعده، أما بعد:

فإنَّ النظرة البنائية للإنسان قد تنوَّعت وتغيَّرت تبعًا لتطوّر الفكر الإنساني بشكلٍ عام، إذ بدأت محاولات معرفة الإنسان نفسه وما حوله منذ وجوده على هذه المعمورة، وزامن ذلك طرح أسئلة مصيرية من أجل تحديد معالم بنائه وعلاقاته بالمُوجِد والموجودات، وتطوَّرت الأجوبة واختلفت باختلاف الاعتبارات والمناهج والأدوات،

فنجد في خضم ذلك التراكم المعرفي من اهتمَّ بتركيبة الإنسان المادية، وفلسفتها وحالاتها، فنشأت العلوم الفلسفية والإنسانية، ومن اهتمَّ بمكوناته الجسمانية، وحقيقتها ووظائفها، فظهرت العلوم الطبية والصحية، وفي الجانب المقابل نجد من ركَّز على طبيعة الإنسان المعنوية، وعلاقاتها ومآلاتها، فجاءت العلوم الإسلامية واللاهوتية، ولهذا يقول ألكيس كاريل: "وفي الحق لقد بذل الجنس البشري مجهودًا جبارًا لكي يعرف نفسه، ولكن بالرغم من أننا نملك كنزًا من الملاحظة التي كدَّسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الأزمان، فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا... إننا لا نفهم الإنسان ككل... إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة، وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا... فكلّ واحد منّا مكوّن من موكب من الأشباح، تسير في وسطها حقيقة مجهولة... وواقع الأمر إنَّ جهلنا مطبق... فمن الواضح أن جميع ما حقَّقه العلماء من تقدّم فيما يتعلق بدراسة الإنسان ما زال غير كاف، وإنَّ معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في الغالب"(١).

هذا وعلى فرضية نضج العلوم واستوائها، فإنَّ مفهوم الإنسان في أيّ علم من العلوم يعتبر ناقصًا إذا ما اقتُصر على ناحية علمية واحدة فحسب، إذ

---

(١) الإنسان ذلك المجهول، ألكيس كاريل، ص١٣-١٤.

يقتضي التكامل المعرفي عدم إبعاد أي جزء من شأنه أن يقدِّم إضافة علمية للوصول إلى حقيقة هذا الكائن، وهذا هو حقيقة ما حلَّ بالحضارة الغربية المعاصرة اليوم، من خلال تخلّيها عن البعد الميتافيزيقي للذات الإنسانيّة وعدم التزامها بالقيم الأخلاقيّة، على عكس الفكر الإسلامي الثابت الكامل المتكامل، والشامل لكل نواحي الحياة ومجالاتها، ولهذا فقد اهتم القرآن الكريم بـ"الإنسان" أيّما اهتمام، خاصة في تحديد معالم تكوين الشخصية القرآنية المتوازنة التي تبني الإنسان وفق الهدي القرآني، غير أنَّ الدراسات القرآنية المتخصصة -التي تحدد معالم بنائه وفق هدايات القرآن الكريم- تُعَدُّ قليلة نوعًا ما، ولعلَّ هذه القلة في المؤلفات ناتجة عن صعوبة فهم حقيقة الإنسان ومعالم بنائه، ولهذا يذكر عباس محمود العقاد أنَّ فهم الإنسان أمر صعب فعلًا، يحتاج إلى تراكم معرفي متنوع ومتكامل، وهذا ما عجزت عنه الحضارات السابقة قبل نزول القرآن الكريم، غير أنَّ الحضارة الإسلامية المعاصرة يمكن أن تفهمه في ضوء هدايات القرآن الكريم، فيقول: "إنسان القرآن هو إنسان القرن العشرين، ولعل مكانه في هذا القرن أوفق وأوثق من أمكنته في كثير من القرون الماضية؛ لأنَّ القرون الماضية لم تُلجئ الإنسان إلى البحث عن مكانه في الوجود كله"(١).

ولهذا جاءت هذه الدراسة كي تبيّن مفهوم الإنسان من منظور القرآن، وكيف حدّدت هدايات القرآن ملامح صورته البنائية؟ وما هي أبرز معالم هذا البناء الذي يستهدف عقيدة الإنسان وفكره؟

---

(١) الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد، ص٧.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي.

يقع مفهوم "الإنسان" اليوم بين الرؤيتين المادية والدينية، والتي تقدم كل منهما تصورًا عن ماهية الإنسان ودوره في الأرض، فالرؤية المادية ترجع عناصر الإنسان وأفعاله وانفعالاته إلى المادة وحدها، ومرت منذ عصر التنوير الغربي بمرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة، وتعتبر أنَّ العقل قادر على تفسير أجزاء الكون التي تملك أدلة تفسيرها ومنطق تكوينها، والاستغناء التام عن الإله، واستقاء المعرفة من مختلف المصادر غير المقدسة؛ ومن ثم تزويد الإنسان بالأنساق المعرفية والأخلاقية والجمالية المستندة إلى العقل والطبيعة البشرية والقوانين المادية فحسب.

ثم في مرحلة ما بعد الحداثة اعتُبر الإنسان مجرد مجموعة من الدوافع المادية والاقتصادية والجنسية التي لا يختلف فيها عن الحيوان -أي إنه كائن غير عقلاني- بحيث يتمثل المطلق لديه في مجموعة من الماديات (المنفعة المادية، اللّذة الجنسية، معدلات الإنتاج)؛ وهو ما يعني من طرف آخر إسقاط الأنساق المعرفية والأخلاقية والجمالية. وأما الرؤية الدينية فهي تصور الوجود بمنظومة تشرف عليها قوة عليا قاهرة، تدير العالم وتخلق الإنسان كائنًا دون إرادة ولا اختيار، فهو يتحرك بأمرها ولا يملك من أمره شيئًا، وتمثلت هذه الرؤية في الفكر الكنسي في العصور المسيحية الوسطى والتي تزامنت مع دور متنامٍ للكنسية في حياة الفرد والمجتمع والدولة[١].

وقبل أن ندخل في غمار مفهوم هذا الكائن وحقيقته، سنحاول في بداية هذا المبحث أن نضبط بعض المصطلحات المتعلقة به من حيث اللغة والاصطلاح، وتبيين مواضع ورودها في القرآن الكريم ودلالاتها المختلفة، وذلك على النحو الآتي:

---

[١] انظر، الإنسان والحضارة، عبد الوهاب المسيري، ص٣٣١.

أولاً: مصطلح "الإنسان":

١-**لغة:** جاء لفظ "الإنسان" مشتقًّا من أربعة معان، هي:

-**النّسيان:** وهو قول أغلب الكوفيين القائلين بأنَّ الهمزة زائدة، وأنَّ وزن كلمة إنسان هو: "إِفْعَان" على النقص، والأصل: إِنْسِيَان على "إِفْعِلَان"، ولهذا يُردّ إلى أصله في التصغير، فيُقال: "أُنَيْسِيَان"[١].

وقد أشار الراغب إلى أصل هذا التوجيه اللغوي بقوله: "سُمّي بذلك لأنه عهد الله إليه فنسي، تنبيهًا إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥ ﴾[طه:١١٥][٢].

-**الأُنْس:** وهو قول بعض البصريين الذين ذهبوا إلى أنه مشتق من الأُنْسِ، فالهمزة أصل ووزنه: "فِعْلَان"[٣].

وقد نصَّ على ذلك المبرد بقوله: "وإنسانٌ فِعْلانٌ، من الأُنْس"[٤].

وشاهد ذلك قول الكميت:

فَيهِنَّ آنِسَةُ الحّديثِ حَيِيَّةٌ *** ليستْ بفاحشةٍ ولا مِتْفَالِ[٥].

-**الإينَاس:** الإبصار: وهو قول جمهور البصريين الذين قالوا: إنما قلنا إنَّ وزنه: "فِعْلَان"؛ لأنَّ إنسان مأخوذة من الإنس، وسمي الإنسان إنسًا لظهورهم، كما سُمّي الجنّ جنًّا لاجتنانهم، أي: استتارهم، ويقال: "آنستُ الشيء" إذا أبصرتُه، كما قال الله تعالى: ﴿ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا ﴾[القصص:٢٩]. أي: أَبْصَرَ[٦].

---

[١] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، ج١، ص٢٥.

[٢] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٩٤.

[٣] المصباح المنير، الفيومي، ج١، ص٢٥.

[٤] المقتضب، المبرد، ج٤، ص١٣.

[٥] البيت من الكامل، انظر، الصحاح، إسماعيل الجوهري، ج٣، ص٩٠٥.

[٦] الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، ج٢، ص٦٦٩.

-**النَّوْس**: الحركة: من الحركة النّوّاسية، فقد قيل بأنَّ اشتقاقه جاء من النَّوْس، بمعنى التَّحرك؛ وسمّي كذلك لتحرّكه في الأُمور العظام، وتصرُّفه في الأَحوال المختلفة[1].

٢- **اصطلاحاً**: سعى العلماء والمفكرون إلى محاولة فهم حقيقة الإنسان من خلال الرجوع إلى الاشتقاقات اللغوية للكلمة والنصوص الدينية المتعلّقة بها، وقد أورد أبو الحسن الأشعري تسعة عشر قولًا في تعريف الإنسان، ثم رجَّح القول الثالث منها بأنَّ الإنسانَ جسدٌ ورُوحٌ، جمعًا بين الرؤيتين المادية والمعنوية؛ وذلك لأنَّ ماهية الإنسان وحقيقته لا تكون من دون جسدٍ ولا من دون روحٍ، فالإنسان مجموع الرُّوح والجسد[2].

ولنقف عند أقدم تعريف وأشهره عند الفلاسفة، وهو القائل بأنَّ الإنسان: "حيوانٌ ناطقٌ"[3]، إذ هو حدٌّ حقيقيٌّ تامٌّ لإخباره عن ذاتيات المحدود الكليّة المركّبة، فالمراد بالحيوان: الجسم النّامي الحسّاس المتحرّك بالإرادة، والمراد بالنّاطق: العاقل المحصِّل للعلوم بقوّة الفكر، وليس المقصود به النّطق اللّساني[4].

لكنَّ الملاحظ على هذا التعريف -المنقول عن أرسطو- أنَّه قد اختزل معرفةَ الإنسان وفهمه وأحكامه في العقل، وقد تحوّل ذلك المعنى إلى منبع لفهم شخصية الإنسان، واكتشاف طبيعته، وتفسير سلوكه، والحكم على مواقفه، وتفسير الأقوال والأفعال والأحكام والتعبيرات المتنوعة الصادرة عنه، على الرغم من أنَّ كثيرًا من سلوك الإنسان ومواقفه وكلماته لا تخضع للعقل بشكل

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ج٢، ص٣٢.

(٢) انظر، مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ج٢، ص٢٥٢.

(٣) التعريفات، الجرجاني، ص٣٨.

(٤) انظر، شرح العضد وحاشية الجرجاني عليه، ج١، ص٦٩.

ميكانيكي؛ لأنها مثلما تصدر عن العقل تصدر أيضًا عن الأحكام الذهنية المسبقة والمصلحة والعاطفة واللاوعي والمتخيل(١).

ولهذا فالمنظور الإسلامي للإنسان مغاير لمثل هذه الأطروحات، وهو مصوِّبٌ لها إنْ جانبت الصواب، ومكمِّلٌ لجوانبها الأخرى الناقصة في الوقت ذاته، ولا نعني بذلك ضرورة المغايرة التّامة لكافة الآراء الأخرى، إذ قد يتقاطع معها في بعض الجزئيات غير أنه يتمايز عنها -كلها- بنظرته الشمولية الكاملة، ومن ذلك -مثلًا- جزئية "خصائص الإنسان" التي سنبيّن بعض جوانبها فيما يلي:

٣- خصائص الإنسان في ضوء هدايات القرآن:

يُعدِّدُ القرآن الكريم خصائص الإنسان ويحدّدها فيما يلي:

-**الإنسان مخلوق ثنائيّ البعد**: وذلك بحكم التكوين الخَلقي له، إذ هو جماع نفخة الرُّوح ومادة الطّين: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ ﴾ [الحجر:٢٨-٢٩].

-**نزعته الدينية الفطرية**: والمتمثّلة في الإيمان الفطري بالقوة العليا التي تسيطر على الكون، فهي الجبلة المتهيئة لقبول الدين(٢)، وقد وصفها القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الروم:٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ﴾ [الأعراف:١٧٢].

---

(١) انظر، موقع عبد الجبار الرفاعي، ١٧-٠٦-٢٠٢٢.
https://jabbaralrefae.com/%D8%A7%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81-/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86/

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص١٦٨.

-قابليته للعلم والتّعلّم: كما قال سبحانه: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [العلق:٥]، ومعنى ذلك مقدرة الإنسان على القيام بالعمليات العقلية العليا: كالتّفكير المجرّد والتّأمل والتّدبر والتّخيل والنّظر العلميّ والقياس والاستدلال والاستنباط من التّجارب وغير ذلك، خلاف ما يشارك الإنسان الحيوان فيه بصفة عامة؛ فالإنسان مزود باستعدادات عقلية كلية، تؤهله لاختيار الخير والشرّ، بما يبني لديه الوعي بالتاريخ والحاضر والتخطيط للمستقبل والبرهنة على صحة مقولاته واعتقاداته بشأن الله والوجود والكون والحياة.

-قدرته على البيان: كما قال سبحانه: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن:٤]، ومعنى ذلك المقدرة على الدلالة بكل أنواع الدلالات، ومن ذلك: النّطق والاتّصال اللّغوي والمقدرة على التعامل بمختلف الرموز اللغوية: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ۝٢٢ ﴾ [الروم:٢٢].

-نزعته الاجتماعية والمدنية: كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣]، وهي نزعة تدفع الإنسان نحو الاندماج وبناء العلاقات المتراكبة والمتداخلة مع غيره، والتعايش مع إخوانه، للارتقاء والسمو عن الغريزة الاستحواذية، مما يحقق الأمن والحرية والبناء والعمران وتطوير الحضارة الإنسانية وإنتاج معطياتها المادية والثقافية كما يوجهها مفهوم الاستخلاف في الأرض.

-التباين والاختلاف في الناس: ولا نعني به الاختلاف في الفطرة والتكوين، وإنما هو الاختلاف في الاختيار، والقدرة على التغيير، ولذلك تعدّدت الأنفس، يقول سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾[هود:١١٨-١١٩]، فرغم تشابه أفراد الإنسان شكلاً إلا أنهم على قدر

هائل من التنوع في الصفات والسلوكيات، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴾ [الليل:٤]، وإنَّ أفضلهم أقربهم لله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣] (١).

-الأصل في الطبيعة البشرية هو الخيرية: وقد يطرأ عليها التغيّر بفعل الظرف الزماني والمكاني وما يتّصل بهما من عوامل التربية والتنشئة والجهد الذاتي للإنسان واختياراته، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ [الإنسان:٣]. فما يصدُر عن الإنسان من أفعال الخير منزِعُه جِبلّته وفطرته، ومَنشؤُه وتربيته، وما يصدر من شرّ فهو من التغيير الطارئ عليه، وهذا خلافًا لوجهة نظر الفيلسوف الإنجليزي "توماس هوبز" الذي يرى أنَّ طبيعة الإنسان مجبولةٌ على الشرِ والإثم والخطيئة، واستخدام العنف تجاه الآخرين كلَّما سنحت له الفرصة لذلك، وهو منطق يجاور العقيدة المسيحية التي تردّ جِبلّة الشّرّ في الإنسان إلى "الخطيئة الأصليّة"، بما يحمّل الإنسان عبء تخليص ذاته الآثمة -خَلْقًا- أو التمادي في غَيِّها، ولذلك أطلق مقولته الشهيرة: "الإنسان ذئبٌ لأخيه الإنسان"، لينطلقَ من هذه الفكرة بتأسيس مفهومه عن حاجة الإنسان إلى قوة اجتماعية لاجمة لهذه الطبيعة الشريرة كي تحمي الإنسانيةَ من آثارها المدمِّرة.

وفي المقابل يرى الفيلسوفُ "جون لوك"

أنَّ الإنسان خيِّرٌ بطبعه، ومُسالم بجِبلَّته، لكنَّ الظروف الاقتصادية المتراكمة أنشأت عنده حالةَ العنف والرغبة في استخدام القوة تجاه أخيه الإنسان، وكأنَّ العنف لا يعدو أن يكون ردَّ فعل فقط، يواجه به الإنسانُ تناقضات الحياة

(١) انظر، موقع رؤيا للبحوث والدراسات، فارس العزاوي، /https://ruyaa.cc/Page/1690

الاجتماعية والضغوط الممارَسة عليه من قِبَل مختلف المؤسسات(١).

ثانياً: مصطلح "النفس":

١-**لغة:** اتَّسعت معاني النفس وتعدَّدت مدلولاتها في الاستعمال اللغوي على النحو الآتي:

-**الإنسان بجملته:** فيُراد بالنَّفْس: رُوح الشَّخص الآدمي(٢).

-**الشّيء الثّمين:** ومنه قولهم: أَنْفَسه الشَّيء، أي: أعْجَبه وصّارَ عِنْده نَفِيسًا(٣).

-**التفريج:** يقال: نَفَّسَ تَنْفيسًا، ونَفَّسَ عنه، أي: فَرَّجَ عَنْه(٤).

-**العَظَمَة والكِبر:** وجاءت أيضًا بمعنى: الهِمَّة والعِزَّة(٥).

٢-**اصطلاحاً:** هي الجوهر الذي في جسم الإنسان، قابلة للاتصال به والانفصال عنه، وهي مادة ليس لها شكل، ولا صورة معينة(٦).

وهي الكمال الأول لجسم طبيعي من جهة ما يفعل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك من الأمور الكلية(٧).

ونفس الإنسان هي المدبّرة لبدنه، ولذلك سمّوها نفسًا(٨).

ويُفترض أنَّ أقرب علم إلى إدراك كنه النفس الإنسانية وحقيقتها علم النفس، ومع ذلك نجد أنَّ علماء النفس لم يصلوا بعد إلى معرفة ماهية النفس الإنسانية

(١) انظر، الطبيعة الإنسانية والعنف، قراءة تربوية، ماجد بن عبد الله العصيمي على الرابط:https://www.imctc.org/ar/eLibrary/Articles/Pages/articles30012021.aspx

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج٥، ص٢٠٣.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نفس)، ج٦، ص٢٣٣.

(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ج١، ص٧٤٥.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نفس): ج٦، ص٢٣٣.

(٦) التوقيف على مهمات التعريف، المناوي، ج١، ص٧٤٥.

(٧) معارج القدس في مدارج معرفة النفس، أبو حامد الغزالي، ج١، ص٢١.

(٨) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٩، ص٢٧٣.

وحقيقتها؛ وذلك لأنه علم يكتفي بدراسة الظواهر المتعلقة بها، لا النفس ذاتها، فهي مجرد محاولات لاستخلاص المبادئ العامة للسلوك الإنساني، فالنفس كمفهوم إنساني لم يعرفه الإنسان -حقّ المعرفة- إلى يومنا هذا، إذ لا يعرف لها ماهية ولا كينونة[1].

في حين أنَّ القرآن الكريم تعرّض إلى ماهية النفس وكيفية وجودها في هذا الجسد في قوله تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ ﴾ [الشمس:٧]، وأبرز منهجية التعامل معها من خلال تكثير الخير الذي جُبلت عليه وعدم كبح جماحه، وذلك بقوله تعالى: ﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس:٨-١٠]، ومنه نرى انفراد القرآن الكريم بالإشارة إل تلك النفس الإنسانية وصنوفها المختلفة نظرًا لقيمتها من حيث جعل الإنسان مخلوقًا مختلفًا عن المخلوقات الأخرى[2]، يقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ [المؤمنون:١٤]، ولهذا يقول سميح عاطف الزين: "أما سبر أغوار النفس والوقوف على أسرارها فمن الصعب جدًّا، إن لم يكن من المستحيل بلوغها وفقًا للمعايير الفكرية التي يضعها الناس، أيًا كانت اختصاصاتهم ومداركهم، ومهما بلغت من العمق أو القوة... وقد انفرد سبحانه وحده بمعرفة دقائق خلق الإنسان ولاسيما روحه ونفسه، فلا يمكن إذن للعقل البشري أن يحيط بمكنونات هذا الخلق على حقيقته"[3].

٣-استعمال القرآن الكريم لمصطلح "النفس" ودلالاته:

جاء مصطلح "النفس" في القرآن الكريم على معان عدّة، منها:

---

(١) النفس في القرآن الكريم، عبد الوهاب داود الحزامي، ص٩٥.
(٢) النفس في القرآن الكريم، عبد الوهاب داود الحزامي، ص١٠١.
(٣) علم النفس معرفة النفس الإنسانية، سميح عاطف الزين، ص٢٣.

١. "**الإنسان**": بكل جوانبه النفسية والعقلية والجسمية: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة:٤٥].

٢. "**الرُّوح**"[١]: التي تسكن هذا الجسم وتوجهه، فإذا فارقته حلَّ به الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾[الأنعام:٩٣].

٣. "**أصل البشرية**": ومنه قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[النساء:١][٢].

٤. "**الذات الإلهية**": وذلك في قوله سبحانه تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران:٢٨]، أي: ذاته المقدسة[٣].

٥. "**شخص بذاته**": ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ [الكهف:٦]، والمقصود: شخص محمد صلى الله عليه وسلم[٤].

٦. "**الجوهر الداخلي للإنسان ونيته**": كما في قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ﴾[الإسراء:٢٥][٥].

---

[١] تمثل الروح عنصر الحياة لهذا المخلوق وهي سر من الأسرار الربانية الكبرى، ولا علاقة لها بتكوين الشخصية المعنوية للإنسان، وأما باقي العناصر الأخرى (كالعقل والقلب) فهي التي تتحكم في تصرفات الإنسان وسلوكياته المعنوية إلى جانب تصرفاته العضوية من حركة وتنفس وأكل وغيرها، والعنصر المسؤول عن تناغم وانسجام هذه العناصر إنها النفس الإنسانية؛ لأنها العنصر الوحيد المؤهل لهذا الدور بحكم ما وهبها الله من إمكانات وطاقات وخصائص وميزات، وأما العلاقة بين هذه العناصر داخل الكيان النفسي، فهي علاقة شائكة ومعقدة لا يمكن الوقوف بشكل دقيق على هذا التفاعل، إذا لم نقل يكاد يكون ضربا من المستحيل. انظر، النفس في القرآن الكريم، عبد الوهاب داود الحزامي، ص٢٠٤-٢٠٥.

[٢] انظر، تفسير الرازي لهذه الآية، ج٩، ص١١٨.

[٣] انظر، تفسير فتح القدير للشوكاني، ج١، ص٤٩٤.

[٤] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٣، ص١٥٦.

[٥] انظر، تفسير الآية عند ابن كثير، ج٣، ص١٠٣.

٧. "**القبيلة والجنس**": كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة:١٢٨].

٨. "**النفس بصيغة الجمع لتفيد تبادل الفعل**": كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ [البقرة:٥٤].

٩. "**العقل والقلب**": كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠].

١٠. "**الهوى أو الرغبة في الشيء**": كما في قوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾[المائدة:٣٠](١).

٤_ أنواع النفس في القرآن الكريم:

إنَّ النفس الإنسانية في القرآن الكريم واحدة باعتبار ذاتها، وثلاثة أنواع باعتبار صفاتها: لوّامة، وأمّارة، ومطمئنّة، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

-النّفس اللّوّامة:

أقسم الله بها في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝ ﴾ [القيامة:٢]

وسُمّيت كذلك لارتباطها بالبعد العقلي، وغياب الصفاء الروحي عنها، فهي كثيرة التقلّب والتلوّن، ولذلك قيل هي مشتقة من التلوّم، أي: التردد، فتذكُر وتغفل، وتُقبل وتُعرض... أو هي مشتقة من اللّوم؛ لأنَّ ما فيه أحد من الناس -برًّا كان أو فاجرًا- إلا وسيلوم نفسه في الدنيا، فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته، والشقيّ يلومها على فوات حظها وهواها، وقد يكون هذا اللومُ يوم القيامة، فيلوم المسيء نفسه على إساءته، ويلوم

---

(١) انظر: آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، نعيمة عبد الله البرش، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) الجامعة الإسلامية غزة، كلية أصول الدين، ص٢٠-٢٣.

المحسن نفسه على تقصير، والنفس اللوامة نوعان: ملُومة: وهي النفس الجاهلة الظالمة، التي يلومها الله وملائكته، وغيرُ ملومة: وهي التي لا تزال تلومُ صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده. (١)

-النّفس الأمّارة:

المنقطعة عن العقل والروح والتي تأمر بكل سوء لارتباطها بطبيعتها المادية (الغريزية) -إلا من وفقه الله تعالى وأعانه على التخلص من شر نفسه-،

كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾ [يوسف:٥٣]، ولهذا كان النبيّ صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يقول في خطبة الحاجة: "... ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا"، فالشرّ كامن في النفس، وهو موجب لسيّئات الأعمال، فإن خلّى الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرّها وما تقتضيه من سيّئات الأعمال، وإن وفقه وأعانه نجّاه من ذلك كلّه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور:٢١].

-النفس المطمئنة:

وهي النفس المرتبطة بالله تعالى، فهي مجموع المادة والعقل والروح، وهي أقلُّ النفوس البشرية عددًا، وأعظمها عند الله قدرًا،

وهي التي يقال لها: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨ ﴾ [الفجر:٢٧-٢٨].

(١) انظر، الروح، ابن القيم الجوزية، ص٢٢٥.

المبحث الثاني: تحديد مفهوم الإنسان من منظور القرآن:

الإنسان في القرآن الكريم هو محور في العملية التكليفية، التي تبرز أهميته في الحياة، وهو مزوَّد بخصائص الخلافة، من الاستعداد للمعرفة النَّامية والمتجدِّدة، واستقبال المؤثِّرات الكونية، والانفعال بها، والاستجابة من أجل النهوض بوظيفة الخلافة. فما تركيبة هذا الإنسان؟ وهل هو حرٌّ في اختياره؟

أولاً: تركيبة الإنسان:

جَمَعَ الله تعالى في عناصر تكوين هذا المخلوق ما يميّزه عن غيره من خلال التركيبة المزدوجة، التي تجمع بين عنصر التراب بطبيعته المادية، وبين العنصر الروحي، وتلك النفخة السماوية، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر:٢٨-٢٩]، ولهذا يقول الراغب الأصفهاني: "وقد جمع الله تعالى في الإنسان قوى بسائط العالم، ومركباته، وروحانياته، وجسمانياته، ومبدعاته، ومكوّناته. فالإنسان من حيث إنه بوساطة العالم حصل، ومن أركانه وقواه أوجد هو العالم. ومن حيث إنه صغُر شكله وجمع فيه قواه كالمختصر من العالم، فإنَّ المختصر من الكتاب هو الذي قُلّل لفظه، واستوفي معناه. والإنسان هكذا هو إذا اعتبر بالعالم. ومن حيث إنه جعل من صفوة العالم، ولبابه، وخلاصته، وثمرته"(١).

مما يعني أنَّ شرف الإنسان بناءً على نظرة القرآن الكريم ليس منبعه تركيبته المادية والطبيعية، بقدر ما يكمن في معناه ووجوده المعنوي، وبفضل النفخة السماوية: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص:٧٢]، والتي جعلت من ارتقاء هذا المخلوق ممكنًا في كل حين. ولهذا فإنَّ المتتبع لآيات الذكر الحكيم يدرك تركيز القرآن الكريم على البعد المعنوي للإنسان أكثر من طبيعته الظاهرية، فالإنسان

---

(١) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الراغب الأصفهاني، ص٢٨.

يعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بروحه، فيتصل من جانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية، ودوافع الحياة الحسية، ويتصل من جانب الروح بعالم البقاء، وسر الوجود الدائم، وعلمه عند الله تعالى(١).

وقد وضع القرآن الكريم للإنسان ضوابط تجعل من هذه الطبيعة البشرية قادرة على التجاوب مع ذلك الأفق الكوني لتحقق الارتقاء المطلوب منها تعزيزًا لتجاذبات تلك النفخة السماوية، وما تقتضيه من السمو، والصعود بالذات الإنسانية، وبالمقابل حتى لا تنحدر إلى تجاذبات الطين، والخلود إلى الأرض، والارتكاس بها في معترك الشهوات ونوازع الأهواء، ولهذا فهو لم يكلفه بما لا ينسجم مع طبيعته، ولم يقهره على ما لا يتناغم مع قدراته، ويتوافق مع استعداداته الفطرية، وقدراته الذهنية، بل وضع منهجًا سليمًا يجعل من هذه الذات متوافقة مع هذه الطبيعة، وما ركب فيها من شهوات، وبين الهدايات القرآنية التي تنظم مسار هذا الإنسان، وتسدد حركته في الوجود، فلم ينزل به إلى حضيض الحيوانية وغرائزها، ولم يلزمه بحال الملائكة ونورانياتها، وبهذا كان الإنسان مع مهمته التكليفية بين الخير والشر، يتردد بين الطاعة والمعصية، والجدير بالذكر أنَّ القرآن في نظرته الواقعية للإنسان، والتي تخالف نظرة الديانات الأخرى التي حاولت النزوع بالإنسان للأعلى، متجاوزة طبيعته وضعفه، واحتياجاته الفطرية، فأوقعته في الكثير من الانحرافات عن الهدي السماوي، وطبيعة الإنسان الفطرية، إذ أصبح يعاند طبيعته ويقهرها، حتى أحدثت انفجارات رهيبة، فشطرت الكيان الإنساني بما لا ينسجم مع طبيعة التكليف، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد:٢٧].

ثانياً: حرية الإنسان:

خُلق الإنسان لعبادة الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾

(١) الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد، ، ص٣١.

[الذاريات:٥٦]، وآثار العبادة يمكن أن تُرى في حركة الإنسان واختيار خضوعه مع الكون، فباقي المخلوقات قد خضعت لله تعالى قسرًا، كما قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ ﴾ [فصلت:١١]، فالإنسان قد أُوتي حرية الاختيار، وخضوعه لا يتمّ إلا وفق إرادة حرة؛ وبهذا يكتسب الفعل الإنساني قيمة كبرى في هذا الخضوع الاختياري.

ثالثاً: صفات الإنسان:(١):

يشير القرآن الكريم إلى بعض الصفات السلبية للطبيعة الإنسانية، نذكر جزءا منها –على سبيل المثال لا الحصر–:

١- **الضعف**: في قوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ ﴾ [النساء:٢٨]، مما يعني أنَّ الضعف هو جزء من التكوين الذاتي للإنسان، وتتعدد مظاهر هذا الضعف: فمنه الضعف الجسدي، والنفسي، والعقلي، وغيره، لاسيما أمام مغريات الحياة، وشهواتها، كما قال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران:١٤]، وعليه فإنه يحتاج إلى مرتكزات وهدايات، وثوابت روحية كي يثبت أمام اختبارات الحياة، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ﴾ [البقرة:١٥٥]، مما يعني أنَّ هذا الضعف الذي يكتنف الذات الإنسانية لا يمكن تجاوزه إلا بالارتماء في أحضان الهدي، وترويض النفس البشرية عليه.

---

(١) نبَّه الفيروزآبادي على أنَّ لفظ الإنسان جاء في القرآن الكريم على عشرين وجهًا، منها ما قُصد به أول الأنبياء آدم عليه السلام، ومنها ما قُصد به خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، وخمسة عشر وجهًا جاءت في وصف عتاة الكفار كالأخنس بن شريق، وأمية بن خلف، وأبي لهب، وعتبة بن أبي جهل، ومن شاكلهم. انظر، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٢، ص٣٢-٣٥.

٢-**الهلع والجزع:** في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾[المعارج:١٩_٢١]، والجزع: "هو فرط الحزن وشدته، وهو أعمل شيء في نهك البدن، وتغيير قوى شهوات النفس... ويحتال لصرفه بحيلتين: إحداهما من خارج، والأخرى من داخل، والتي من خارج فوعظ الواعظين، وتذكير الذاكرين، وأما التي من داخل فأبواب من الفكر يرض بها الإنسان نفسه"(١).

والجزع مِنْ آثَارِ الْهَلَعِ(٢)، وقد اعتبر ابن عاشور "أَنَّ الْهَلَعَ طَبِيعَةٌ كَامِنَةٌ... تَظْهَرُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ شعوره بالنافع والضار، فَهُوَ مِنْ طِبَاعِهِ الْمَخْلُوقَةِ كَغَيْرِهَا مِنْ طِبَاعِهِ الْبَشَرِيَّةِ، إِذْ لَيْسَ فِي تَعَلُّقِ الْحَالِ بِعَامِلِهَا دَلَالَةٌ عَلَى قَصْرِ الْعَامِلِ عَلَيْهَا، وَلَا فِي اتِّصَافِ صَاحِبِ الْحَالِ بِالْحَالِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا صِفَةَ لَهُ غَيْرُهَا، وَقَدْ تَكُونُ لِلشَّيْءِ الْحَالَةُ وَضِدُّهَا، بِاخْتِلَافِ الْأَزْمَانِ وَالدَّوَاعِي، وَبِذَلِكَ يَسْتَقِيمُ تَعَلُّقُ النَّهْيِ عَنْ حَالٍ مَعَ تَحَقُّقِ تَمَكُّنِ ضِدِّهَا مِنَ الْمَنْهِيِّ لِأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَرُوضَ نَفْسَهُ عَلَى مُقَاوَمَةِ النَّقَائِصِ وَإِزَالَتِهَا عَنْهُ، وَإِذْ ذَكَرَ اللَّهُ الْهَلَعَ هُنَا عَقِبَ مَذَمَّةِ الْجَمْعِ، وَالْإِيعَاءِ، فَقَدْ أَشْعَرَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُفَّ عَنْ هَلَعِهِ إِذَا تَدَبَّرَ فِي الْعَوَاقِبِ فَيَكُونُ فِي قَوْلِهِ: ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ كِنَايَةٌ بِالْخَلْقِ عَنْ تَمَكُّنِ ذَلِكَ الْخُلُقِ مِنْهُ، وَغَلَبَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ"(٣).

٣-**عجلة الإنسان:** في قوله تعالى: ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١ ﴾ [الإسراء:١١]. ولعلَّه يرد التساؤل هنا: كيف ينهى المولى عز وجل الإنسان عن العجلة، وهو قد خُلق كذلك؟ فقد قال سبحانه: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾ [الأنبياء:٣٧]، وهذا ما أجاب عنه الزمخشري بقوله: "فإن

---

(١) الإنسان في القرآن، أحمد بوعود، ص١٢٦، نقلًا عن البلخي، مصالح الأبدان والأنفس، ص٣١٤.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢٩، ص١٦٧.

(٣) المرجع السابق، ج٢٩، ص١٦٨.

قلت: لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾ ، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾، أليس هذا من تكليف ما لا يطاق؟ قلت: هذا كما ركب فيه الشهوة، وأمره أن يغلبها؛ لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة، وترك العجلة"[1]. وعليه فهذه الطبيعة بما فيها من ضعف وعجلة هي معدّة أساسًا لاختبار قدراتها في هذا الامتحان الدنيوي.

٤- **اليأس والقنوط:** في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [الإسراء:٨٣]، وفي قوله: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [هود:٩-١٠]، فاليأس على حسب التوصيف القرآني منبوذ مرفوض؛ لأنه قد يصيب العلاقة مع الله تعالى بالقنوط، والله سبحانه يدعو إلى عدم اليأس من أسباب الرحمة الإلهية، فقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣]، وهذا التعلق بشآبيب الرحمة الربانية يدل على حياة الإنسان حتى وإن استغرقته الذنوب؛ لأنَّ الله هو الذي خلق عباده، ويعلم تدافعهم بين الحق والباطل، والقوة والضعف، والطاعة والمعصية، واليأس والرجاء، ويفتح الله أبوابه لعباده المذنبين من خلال التوبة، لإعادة تجديد العهد مع الله تعالى، وانطلاق النفس في رحاب الطاعة والإيمان مرة أخرى.

٥-**الخصام والجدال:** في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾ ﴾ [النحل:٤]، وقوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ [يس:٧٧]، وقد أشار الأصفهاني إلى أنَّ الجدل يعتبر من الأمور المعيبة التي يجب أن تنتفض منها النفس البشرية، حيث قال: "ولم

[1] الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص١١٧.

يذكر الخصام في موضع إلا عابه، وأيضًا فالمتجادلان يجريان مجرى فحلين تعاديا، وكبشين تناطحا، ورئيسين تحاربا، وكل واحد منهما يجتهد أن يكون هو الفاعل (وصاحبه هو المنفعل، وأن يكون هو الطابع)، وصاحبه المنطبع، والقائل كالمؤثر، والسامع كالمتأثر، ومتى لم يخضع المتأثر لقبول أثر المؤثر لم يتولد منهما خير بوجه"(١).

٦-**الطغيان والظلم والجهل**: الطغيان في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ ﴾ [العلق:٦]، والظلم والجهل في قوله أيضًا: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ۝٣٤ ﴾ [إبراهيم:٣٤]، "وَالظُّلْمُ عند أهل اللّغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختصّ به، إمّا بنقصان أو بزيادة، وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه... والظُّلْمُ يقال في مجاوزة الحقّ الذي يجري مجرى نقطة الدّائرة، ويقال فيما يكثر، وفيما يقلّ من التّجاوز"(٢). وجاء أيضًا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ۝٧٢ ﴾ [الأحزاب:٧٢]، يقول ابن عاشور: "فَمَعْنَى كانَ ظَلُوماً جَهُولًا أَنَّهُ قَصَّرَ فِي الْوَفَاءِ بِحَقِّ مَا تَحَمَّلَهُ تقصيرا بعضه عَن عَمْدٍ، وَهُوَ الْمعبر عَنهُ بِوَصْفِ ظَلُومٍ، وَبَعْضُهُ عَنْ تَفْرِيطٍ فِي الْأَخْذِ بِأَسْبَابِ الْوَفَاءِ، وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِكَوْنِهِ جَهُولًا، فَظَلُومٌ مُبَالَغَةٌ فِي الظُّلْمِ، وَكَذَلِكَ جَهُولٌ مُبَالَغَةٌ فِي الْجَهْلِ. والظلم: الِاعْتِدَاءُ عَلَى حَقِّ الْغَيْرِ، وَأُرِيدُ بِهِ هُنَا الِاعْتِدَاءُ عَلَى حَقِّ اللَّهِ الْمُلْتَزَمِ لَهُ بِتَحَمُّلِ الْأَمَانَةِ، وَهُوَ حَقُّ الْوَفَاءِ بِالْأَمَانَةِ، والجهل: انتفاء العلم بِمَا يَتَعَيَّنُ عِلْمُهُ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا انْتِفَاءُ عِلْمِ الْإِنْسَانِ بِمَوَاقِعِ الصَّوَابِ فِيمَا تَحَمَّلَ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ ظَلُوماً جَهُولًا فِي فِطْرَتِهِ، أَيْ فِي طَبْعِ الظُّلْمِ، وَالْجَهْلِ فَهُوَ مُعَرَّضٌ لَهُمَا مَا لَمْ يَعْصِمْهُ وَازِعُ الدِّينِ، فَكَانَ مِنْ ظُلْمِهِ، وَجَهْلِهِ أَنْ أَضَاعَ كَثِيرٌ مِنَ

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص١٨٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٣٧.

النَّاسِ الْأَمَانَةَ الَّتِي حَمَلَهَا"(١).

رابعاً: دور الإنسان في الحياة (الخلافة والهداية):

يعتبر الخطاب الإلهي لآدم عليه السلام -الممثل الأول للإنسانية- بالخلافة خطابًا ربانيًا يحمل أبعادًا تشريفية لهذا المخلوق الذي كرّمه الله تعالى، وأناطه بحمل أمانة الاستخلاف، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ [البقرة:٣٠].

وهذه المهمة من أقدس المهمات التي كلّف بها المخلوق الآدمي حتى يرعى حركة السير الإنساني في الاتجاه المستقيم، فيؤدي دوره في الكون من خلال اكتشاف سنن الله تعالى التي تحكم حركته حتى تسير وفق المنهج الرباني، ومقتضيات الهدي القرآني.

ب- مستلزمات الخلافة:

١-تسخير الكون للإنسان:

إنَّ الخلافة تتطلب من الإنسان أن ينمي قدراته الذاتية في اتجاه الله سبحانه وتعالى من خلال التزام هديه حتى تتنظم حركته في الحياة، وتضبط مساره على الأرض، وفي هذا الجهد تكريس لمبدأ الارتقاء بالنفس الإنسانية المستخلفة على الصعيد الفردي حتى تنساق مع الحق قولًا وعملًا، كما تقتضي هذه الرحلة الإنسانية تطوير المجتمعات والأمم حتى يسهم الجميع في عملية البناء والإعمار، وحتى لا يضيع الجهد الإنساني سدى، ولهذا وضع الله تعالى المنهاج الحق الذي يضبط خط الخلافة، ويحفظ مسارها من خلال العبادة بمفهومها العام، كما يتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ [الذاريات:٥٦]، ومن خلال تسخير الكون للإنسان، كما قال سبحانه:

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢٢، ص١٣٠.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[الجاثية:١٢-١٣].

٢-جاهزية الإنسان:

إنَّ هذا المخلوق قد هُيِّئ في أصل خلقته لأداء هذا الدور، ويتضح ذلك من وجهين: روحي ومادي، فالجزء الروحي يمكنه من السمو والعلو نحو الأفق الإلهي الأعلى، ليقتبس هذا الأفق مضمون الخلافة أمرًا ونهيًا، على سبيل الإدراك والاستيعاب والتحمّل، والجزء المادي يمكنه من مباشرة الأرض بالسعي فيها للإنشاء والتعمير.

٣-مهمة الإنسان في الصلاح والإصلاح:

إنَّ الخلافة وظيفة تعبدية، تفرض على الإنسان أن يصون منجزات الخلافة وفق الهدي القرآني، كي يضمن سلامتها بعيدًا عن دواعي الهوى والفساد، خاصة وأنَّ المستخلف يمتلك حرية الاختيار، مما يعني أنه ووفق إرادته بإمكانه أن يكون صالحا أو فاسدا، كما يمكنه أن يكون مصلحا أو مفسدا، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة:٢٢٠]، وبهذه الإرادة يختار طريقه ومهمته ومسلكه في الحياة، بعد الهداية الفطرية فيكون: ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان:٣].

وذلك لا يعني أنَّ الله تعالى سيترك الإنسان لنفسه، وإنما هي رعاية ربانية في شكل آخر، فالله سبحانه وتعالى قد علّم آدم -عيه السلام- وأوحى إلى الرسل من بني آدم، مما يعني تربية الخليفة وتعليمه مقومات الصلاح والإصلاح، لكي ينمي قدراته في ضوء الهدي الإلهي، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]، وهذا ما سيكفله الله لكل إنسان من خلال إرسال الرسل له كي يحفظ حركته في الأرض وفق مفهوم الهداية الإلهية، كما

جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾[البقرة:٣٨]، فالهدي القرآني مسلك الأنبياء والرسل الذين جسدوا إرادة الله في الأرض من خلال أسلمة الحياة والقلب والروح لله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾[الأنعام:١٦٢].

المبحث الثالث: المعالم الكبرى لبناء الإنسان
في ضوء هدايات القرآن الكريم

يعدّ الجانب الإيماني أهم ركن في تكوين الإنسان باعتباره الجذر الأساس لبناء شخصيته، والموجّه الرئيس لإرادته، والمحرّك لمشاعره.

أولاً: البناء العقديّ:

إنَّ الأساس العقدي –الذي يمثل الجانب النظري من الدين– يشكل قاعدة صلبة في بناء النفس الإنسانية، وتنظيم علائقها الوجودية، وتصحيح تصوراتها، وتوجيه مشاعرها من خلال توثيق الإيمان في النفس الإنسانية وترسيخه، وتوجيهه نحو الهدف الأسمى في الحياة –رضوان الله تعالى–.

والمطلب الإلهي في جميع الدعوات الرسالية توحيد الألوهية والذي تمثّل في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥]، فهو الركيزة الكبرى الذي يقوم عليه بناء الإنسان، انطلاقًا من معرفة الله تعالى وإفراده بالعبادة، وانتهاء بتطبيقات العقيدة وتجسيدها في واقع الحياة، ويسعى هذا البناء العقدي إلى إيجاد التكامل بين التصور العقدي النظري والواقع العملي التطبيقي، فتتفاعل العقيدة مع كل عناصر الكينونة الإنسانية ومقوماتها المعنوية والمادية(١).

إنَّ القرآن الكريم وهو يهدف إلى بناء الإنسان قد تناول في توجيهاته الخالدة له معالم هذا البناء السليم للنّفس الإنسانية في كلّ آية من آياته، فهي بمجموعها تشكّل شخصية إسلامية متميّزة، وهي الطريقة العملية التي صنع بها النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلم نماذج فذّة –الصحابة رضوان الله عنهم–،

---

(١) فلسفة التربية العقدية في ضوء الكتاب والسنة، يوسف محمد أبو سلمية، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية التربية، ٢٠٠٧م، ص٤.

غيّروا مجرى التاريخ، وحقّقوا وثبة نوعية في الارتقاء بالنفس من دنس الشرك إلى جمال التوحيد، ومن هوى النفس إلى الهدي النبوي، حتى صار هواهم تبعًا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت العقيدة هي حجر الأساس في تكوين شخصيتهم وبنائها[1].

معالم البناء العقدي في ضوء هدايات القرآن الكريم:

عمد القرآن الكريم إلى تحرير النفس الإنسانية من جميع المعيقات الفكرية، والموروثات الآبائية، والمعتقدات الشركية، والتصورات الاجتماعية المزيفة التي لا تستند إلى برهان أو حجة، بل وتشكل عائقا أمام الفهم السليم لمضمون الكتاب الذي فتح الباب أمام النظر العقلي لاستثمار مقدرات الكون، ورفض الفكر الخرافي وجميع المسوّغات التي تجعل الذات في حالة من التبعية الفكرية للغير، كما نهى عن الهوى واتباع الظنّ، وحارب جميع أشكال الاستبداد والاستضعاف الذي يولّد روح الإذلال ويشلّ الإرادة الذاتية للإنسان، مما يؤدي إلى قتل روح الإبداع والاستقلالية والانطلاق الهادف،

بل الأعظم من ذلك أنَّ الإسلام حرّر الإنسان من زيف الأديان المحرّفة، وجميع أشكال العبودية الزائفة، وغيرها من الحواجز التي تقف في سبيل الترقي والبناء، ونبذ الفرعونية الجاحدة التي تريدنا أن نرى بعيونها لا بعيون الحق: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [غافر:٢٩]،

فالهدي القرآني يرفض الجمود، وإلغاء الآخر، والتقليد الأعمى لما كان عليه الأسلاف والتسليم المطلق لهم؛ وذلك؛ لأن منهجيته المعرفية تقوم على رفض المعتقدات التي لا سلطان على صدقها.

ويمكن تفصيل بعض معالم البناء العقدي فيما يلي:

---

[1] أصول النظام في الإسلام، ابن عاشور، ص٤٥.

أ–تحرير الإنسان من مكرّسات التقليد: دعا القرآن الكريم إلى تحرير الإنسان في ملكاته الفكرية وإمكاناته العقلية من الخضوع لأيّ سلطان أرضي، وذلك برفضه لظاهرة التقليد، والجمود الفكري، وموروثات الآباء، والخرافات التي تعطل جهود البناء، وتشلّ القدرات الإنسانية –على الرغم من إمكاناتها المعرفية–، وتولّد الجبن والاستضعاف وروح الاستسلام لمكرّسات الجهل والتبعية، وتقييد الذات ضمن تلك الدهاليز والأنفاق التي رسمت سلفًا في خريطة الآباء وموروثاتهم الخاطئة، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة:١٧٠].

ب–موقف القرآن من اتباع فكر الآباء:

أرشد القرآن الكريم إلى عرض الموروث الآبائي على سلطان العلم والهدى، والنّظر فيه وفق ضوابط الحق وتشريعاته، وقد زكّى القرآن الكريم اتباع الآباء إذا خضع ما عندهم للبرهان والصّدق، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف:٣٨].

فالقرآن يسعى في بناء الإنسان إلى تذكيره بامتلاك أدوات التمييز والتمحيص، ومنه النّظر إلى هذه التركة الآبائية على أنها مجهودات بشرية لا تحمل طابع العصمة أو القداسة، وعليه فيجب عرضها على الحقّ والعلم من أجل إمكانية الاستفادة منها ومن كل التراكمات المعرفية للأمم السابقة، وأمّا التسليم المطلق لتقاليد الآباء والخضوع التام لسلطان العادات والأعراف دون أدنى نظر أو إعمال فكر فهو جهل مطبق وعدم تعقل، ولهذا نفى الله عزّ وجلّ عن المشركين –الذين ادعوا التبعية لآبائهم– التعقل، فردَّ عليهم في سورة المائدة

بنفي العلم عنهم بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٠٤ ﴾ [المائدة:١٠٤].

والمتأمّل في هدايات القرآن الواصفة لحال الأنبياء والرسل مع أقوامهم، يجد أنهم قد واجهوا مثل هذا الموروث العقدي الذي كان متجذرًا في نفوس القوم، وخاصة عقدة تقديس الآباء وإيثارهم على الحق، وتتفق إجابة الأقوام: ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾، ومن ثَمَّ كان لزامًا تحرير الذّات من هذه الوثنية أوّلًا، ثمّ إعادة بنائها عقديًّا باعتبار ملكات النّظر والتّدبر، وتنمية الوعي السّليم حتى يتّجه إلى المعبود الحقّ، فكلّ فكرة لا تقوم على سلطان الحجة ما هي إلا زبد يجب أن ينتفض منه الإنسان: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ١٧ ﴾[الرعد:١٧].

ثانياً: البناء الفكري:

يهدف الهدي القرآني إلى بناء المنظومة الفكرية للفرد والأمة، ويسعى إلى إعادة بناء نسقها المعرفي وفق رؤية قرآنية بأبعاد كونية وحضارية، ولذلك فإنه يدعو إلى التكامل المعرفي بين الوحي والواقع باعتبارهما مصدرين أساسين في التحصيل المعرفي، ومن هنا تنتظم رؤيته بناءً على هذا التّصور السّليم الذي يربط عالم الغيب بعالم الشهادة، فيفتح القرآن الكريم أبواب النظر العقلي للتبصر في الكون المنظور، ولتدبر ما في الكتاب المسطور، من أجل إعادة بناء الإنسان فكريا، وإصلاح منطلقات تفكيره في ضوء مقرّرات الهدي الإلهي، وتصويبه نحو الوجهة السليمة حتى يتحرك ضمن فضاءات العقيدة التوحيدية، وهذا ما عبّر عنه الطاهر بن عاشور بقوله:

"فالله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم قد أودع في فطرته قوّة الفكر المصيب، فإذا نشأ على الاعتقاد المصيب ارتاض عقله بقوانين الفكر المصيب، وإذا نشأ على ضد ذلك سخّر عقله لاتباع طرائق الحق في التفكير وقبول التعاليم الضالة... حتى تتراكم عيه الضلالات والخرافات"(١).

وإنه لا يمكن إقامة العمران ومباشرة الاستخلاف وفق الهدايات القرآنية إلا باستدعاء العقل من أجل إعمال الفكر وتوظيفه حتى يهتدي إلى المعرفة الحقّ، وذلك من خلال التأمّل والتفكّر في النفس الإنسانية: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ [الروم:٨]، ولذا وجّه القرآن الكريم اهتمام الإنسان إلى إعمال العقل في التدبر والتذكر والتعقل والاستبصار والعلم والاعتبار... فعلى الإنسان المسلم أن يستجيب لتلك الدعوة القرآنية التي تهدف إلى صناعة العقل السليم، والتي تعتمد في منهجها على صلاح مبدأ الاعتقاد وتصحيح التفكير(٢).

يسلك القرآن الكريم في بناء منهجيته في التفكير مسلك الدعوة إلى التأمّل، والفحص، والتدقيق، والنظر، وتقليب الأمور حتى يهتدي العقل إلى النظر الصحيح، ويتحرّر من النّظر السّطحي ومكرّسات التقليد، فتنفتح أمامه الآفاق في اكتشاف المعارف والترقي في مدارج اقرأ -مبدأ العلم والعمل-، والعلم النافع يتجسّد في إظهار الحقائق في صورة جامعة لها في الواقع، مع نبذ هوى النفس وأهواء الغير، وقد قال الله سبحانه وتعالى لداوود عليه السلام:

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص:٢٦](٣).

---

(١) أصول النظام في الإسلام، ابن عاشور، ص٤٧.

(٢) انظر، المرجع نفسه، ص٥٣.

(٣) انظر، المرجع نفسه، ص٦١.

ويبدأ القرآن الكريم في بناء الفكر الإنساني بتحديد مجال حركته في عالم الشهادة، إذ لم يغلق عليه منافذ النّظر العقلي، بل نجده قد رسم مجاله حتى لا تتلاشى قدراته فيما وراء العالم الطبيعي، لذا فقد عمد إلى تدريب الذات على آليات التفكير السليم، وتنمية القدرات على الاستدلال، والنّظر الصّحيح الذي يثمر نتاجًا معرفيًا: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[فصلت:٥٣]، لكن يبقى أنَّ الفكر الإنساني ما هو إلّا محصّلة نتاج ذهني ناتج عن عملية التفكير، فهو -في الأخير- مجرد جهد بشري، يتجاذبه الصواب والخطأ، وهو غير معصوم عن دواعي الزلل والانحراف والتحريف، لذا فإنَّ القرآن الكريم وجه نظر المسلم إلى أن يستمد رؤيته ومنهجه في بناء هذا الفكر من النقل الصحيح الصريح حتى تستقيم وجهته إلى البناء المنشود للإنسان.

معالم البناء الفكري في ضوء هدايات القرآن الكريم:

يمكن تفصيل بعض معالم البناء الفكري على النحو الآتي:

١-**الدعوة إلى التأمّل في آيات الله الكونية:** إذ تمثل الآيات الكونية مجالاً واسعًا من مجالات إعمال العقل والفكر، وذلك لما أودعه الله فيها من أسرار وقوانين وسنن، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة ١٦٤]، فالكون وما فيه من تجليّات العظمة الإلهية كتاب منظور، وهو مرتع للعقل كي يغوص فيه بفكره متأمّلا متدبّرا، فيزداد المؤمن العاقل المتفكّر إيمانًا ويقينًا وخشوعًا وعبوديةً لله تعالى.

ومن أمثلة آيات الله القرآنية التي تتحدَّث عن آياته الكونية قوله سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[الأنعام:٩٥-٩٧]،

قال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآيات: "اعلم أنه تعالى لما تكلّم في التوحيد، ثمَّ أردفه بتقرير أمر النبّوة، ثمَّ تكلَّم في بعض تفاريع هذا الأصل، عاد هاهنا إلى فكر الدلائل الدّالة على وجود الصّانع، وكمال علمه وحكمته وقدرته، تنبيهًا على أنَّ المقصود الأصلي من جميع المباحث العقلية والنقلية وكلّ المطالب الحكمية، إنما هو معرفة الله بذاته وصفاته وأفعاله"(١).

٢-**الدعوة إلى التأمّل في الذات الإنسانية:** فقد دعا القرآن الكريم إلى التفكّر في أسرار النّفس الإنسانية من أجل الوقوف على أسرارها ومكنوناتها ومكوّناتها، وجاءت هذه الدعوة من أجل أن يشحذ الإنسان إيمانه فترقى روحه إلى آفاق اليقين، وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ [الطارق:٥]،

وكقوله سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم:٢١].

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإنسان:١-٢].

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص٨٩.

٣-الدعوة إلى إعمال الفكر من خلال وسائل النظر العقلي:

هدف القرآن الكريم إلى إعادة بناء العقلية الإسلامية على مقوّمات التفكير الصّحيح الذي يقوم على النّظر العقلي، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس:٢٤-٣٢]،

وعلى التأمّل في أخبار الماضيين، والاعتبار بسنن الأولين، والنّظر في عاقبتهم ومآلهم الأخير، كما في قوله سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾[محمد:١٠]، وعلى تذكّر تجليّات نعم الله على الإنسان، والنظر في ما سخّره له في هذا الكون الفسيح، كقوله سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠].

وإنَّ من أهم وسائل النظر العقلي ما يلي:

أ- التبصر:

كما في قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [القيامة:١٤]،

يقول الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: "البصيرة اسم للإدراك التام الحاصل في القلب، أي: له بنفسه معرفة تامة"(١).

وإذا وقفنا على نصوص الذكر الحكيم التي وردت فيها لفظة "البصيرة" نكتشف المعنى الدقيق الذي أراده الله عزَّ وجلّ للفكر الإنساني السليم في منهجيته، والقائم على التحقّق التام والإدراك الجازم بحقائق المعرفة ودلائلها من

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص١٠٩.

الحجّة والبرهان، ورفض أيّ معرفة لا تستند إلى دليل لا تقوم به الحجّة، إذ لابدَّ من التبصر والاستبصار في حقائق الأشياء وكل ما يعرض من أفكار ومفاهيم.

ب- **التّدبّر**:

كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾[المؤمنون:٦٨]، فالتدبّر هو "النّظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكّر، إلا أنَّ التفكّر تصرّف القلب بالنّظر في الدّليل، والتّدبّر تصرّفه بالنّظر في العواقب"[١]. وبناءً عليه فقد دعا القرآن الكريم إلى إعمال الفكر من خلال وسيلة التدبر، فجعله مفتاحًا للوعي الإنساني، وعلاجًا مهمًّا للنفس الإنسانية إذ يحقّق لها الخشوع والإخبات لله تعالى، وإنَّ الذات المتدبّرة تحرّر نفسها من قيود الوهم والجهل، وتقلب الأمور وتنظر في عواقبها، فتتضاعف طاقتها العقلية والنفسية على اكتشاف مخبئات النفس والكشف عن قدراتها الإبداعية.

ت- **استخدام أجهزة الوعي المعرفي (السمع، البصر، الفؤاد):**

كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الملك:٢٣]، فقد ذكر المولى عزَّ وجلّ في هذه الآية أجهزة الوعي المعرفي بقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ﴾، وذكر ما قام به الإنسان مقابل هذه النعم بقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾،

والقرآن الكريم في معرض حديثه على الحواس يركز اهتمامه عليها نظرًا لدورها الأساس في التحصيل المعرفي، ومن هنا تتجلّى أهمية الحواس في كونها وسيلة من وسائل المعرفة التي تُشكّل مادةً لبناء الفكر، ولهذا جمع الله عزوجل بين السمع والبصر وبين الفؤاد في آياته الكريمة

---

[١] التعريفات، الجرجاني، ج١، ص٥٤.

كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

وعندما يربط القرآن الكريم بين السمع والبصر -باعتبارهما من أجهزة الوعي المعرفي- فإنه يصحح مفهومًا خاطئًا وقع فيه بعض اليونانيين، وتابعهم عليه بعض الأوروبيين المحدثين، وذلك حين جعلوا العقل وحده هو مصدر المعرفة، وأما القرآن الكريم فإنه يقرّ بإشراك العقل مع الحواس، فندرك الأشياء الخارجية بحواسنا، ثم نستنبط بعقولنا، فيتم لنا العلم بما أدركنا وبما جربنا[1]،

ولهذا يذكر القرآن الكريم -في آيات عديدة- الحواس أوّلا ثمَّ العقل ثانيًا، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنعام:٤٦]، وفي هذا الترتيب إشارة إلى أنَّ المعرفة تحصل أوَّلًا بالحواس ثمَّ يترجمها العقل، ولعلَّ هذا ما أشار إليه ابن القيم في معرض تعليله لسرّ تقديم السمع على البصر بقوله: "أنَّ المدرك بالسّمع أعمّ وأشمل، والمدرك بالبصر أتمّ وأكمل، فالسمع له العموم والشمول، والبصر له الظهور والتّمام وكمال الإدراك"[2]

(١) انظر، مباحث في المعرفة في الفكر الإسلامي، محمود مصطفى، ص٨٢.
(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ج١، ص١٣٥-١٣٦.

خاتمة:

توصل الباحث في نهاية هذه الدراسة إلى نتائج عدة، أهمها:

١- أنَّ القرآن الكريم قد حدَّد مفهوم الإنسان والنفس بدقة متناهية، فبيَّن طبيعة الإنسان وتركيبته المادية والمعنوية، وسبر أغوار النفس وبيَّن أنواعها وأحوالها.

٢- أنَّ الإنسان من منظور القرآن الكريم ليس رمزًا للخير أو الشرّ، مع أنَّ الأصل في طبيعته الفطرية والخيرية، وقد يطرأ عليها التغيّر بفعل الظرف الزماني والمكاني وما يتّصل بهما من عوامل التربية والتنشئة والجهد الذاتي للإنسان واختياراته.

٣- أنَّ من هدي القرآن الكريم في توجيهاته للإنسان الربط بين الإيمان والعمل الصالح، فالإيمان هو أصل الحياة الكبير الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير، وإنَّ الغاية من خلافة الإنسان في الأرض تحقيق العبودية للرحمن، وتفعيل الشهود الحضاري في الأرض بالعمران، وأنَّ حركة المستخلف وظيفة تعبدية لا تستقيم إلاَّ على وفق الهدي الرباني.

٤- أنَّ القرآن الكريم قد حدَّد معالم تكوين الشخصية القرآنية المتوازنة التي تبني الإنسان -عقديًّا وفكريًّا- وفق الهدي القرآني، وقد تناول في منظومته البنائية مختلف المحاور التي تهدف إلى معالجة العقل والفكر والوجدان.

٥- أنَّ من هدايات القرآن للإنسان: بناء فكره وتقويمه من خلال ترسيخ العقيدة الصحيحة وتفعيلها في مختلف مجالات الحياة.

٦- أنَّ من هدايات القرآن للإنسان: دعوته إلى إعمال الفكر من خلال التأمّل في آيات الله الكونية، والتأمّل في الذات الإنسانية، والدعوة إلى استخدام وسائل النظر العقلي.

٧- أنَّ من أهم وسائل النظر العقلي: التبصر، والتدبر، واستخدام أجهزة الوعي المعرفي (السمع، والبصر، والفؤاد).

وأمَّا التوصيات:

فيوصي الباحث في ختام هذا البحث بالاعتناء بالمنهج المصطلحي في الدراسات القرآنية في هذا الموضوع المتشعّب الأطراف، لعلَّه يكون أكثر فائدةً في رصد العلاقات والضمائم بين المصطلحات، وأدقَّ تعريفًا للمفاهيم والأضداد والأبعاد.

قائمة المصادر والمراجع:

١. أصول النظام ج في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط٢، د.ن.

٢. آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، نعيمة عبد الله البرش، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) الجامعة الإسلامية غزة، كلية أصول الدين.

٣. الإنسان ذلك المجهول، ألكيس كاريل، ترجمة شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

٤. الإنسان في القرآن، أحمد بوعود، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، المغرب: العدد:٣٩، ٢٠١٤م.

٥. الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط، د.ت.

٦. الإنسان والحضارة، عبد الوهاب المسيري، دوّن للنشر والتوزيع، د.م، د.ط، د.ت.

٧. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري، المكتبة العصرية، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٦٦م.

٩. التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكلام المجيد، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، د.ط، ١٩٨٤م.

١٠. التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

١١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٢. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أبو القاسم الحسين الراغب الأصفهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، ١٩٨٣م.
١٣. التوقيف على مهمات التعريف، زين الدين محمد المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
١٤. الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار السلام، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
١٥. الروح، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
١٦. شرح العضد على مختصر المنتهى الأصولي وحاشية الجرجاني عليه، عضد الملة والدين عثمان بن عمر الإيجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٧. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
١٨. علم النفس معرفة النفس الإنسانية، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
١٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.
٢٠. فلسفة التربية العقدية في ضوء الكتاب والسنة، يوسف محمد أبو سلمية، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية التربية، ٢٠٠٧م.
٢١. القاموس المحيط، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. القاهرة، دار الحديث، د.ط، ٢٠٠٨م.
٢٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢٣. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.

٢٤. مباحث في المعرفة في الفكر الإسلامي، محمود مصطفى، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، د.ط. د.ت.

٢٥. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مصر، دار الوفاء، ط٣، ٢٠٠٥م.

٢٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

٢٧. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، د.ت.

٢٨. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، دار نجد للنشر والتوزيع، الرياض، د.ط، ١٩٨٢م.

٢٩. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٠. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ت: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٥م.

٣١. المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، ت: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط. د.ت.

٣٢. النفس في القرآن الكريم، عبد الوهاب داود الحزامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٣٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.